الوحدة الثالثة

الفلاح البولندي- لـ : وليام توماس وفلوريان زنانيكي

"The Polish Peasant"

William Thomas and Florian Znaniecki

اعداد : د- العربي حجام

قسم علم الاجتماع – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد لمين دباغين –سطيف2

I. مقدمة

تمثل دراسة الفلاح البولندي من الدراسات الايكولوجيا السوسيولوجية المستمدة منهجيتها من مدرسة شيكاغو، و تعتمد على التقنيات أكثر عمقا في الكشف عن علاقة المواقف الاجتماعية بالقيم الاجتماعية بين بلد الطرد بولونيا و بلد الجذب أمريكا ، واعتمدت على الطريقة الكيفية و الخطابات والذاتية و سيرة الذاتية و تحليل رسائل المهاجرين و التي تعتبر نقلة اجتماعية نفسية في إطار تطور البحث الاجتماعي الامبريقي الحديث.

2. لمحة عن حياة الباحثين

1- وليام توماس (william isaac thomas)

هو عالم اجتماع و كاتب أمريكي من أصول هولندية من مواليد 13 اوت 1863 بمقاطعة راسل بولاية فيرجينيا، انتقل مع عائلته إلى تينيسي لحرص والده على تعليمه، وفي عام 1884 تحصل توماس على شهادة البكالوريا ثم درس بجامعة تينيسي، و أصبح مساعدا في اللغة الانجليزية، ثم ذهب إلى ألمانيا بمواصلة دراسته و التحق بالعديد من الجامعات الالمانية على غرار جامعة هومبولت و جورج اوغست كان ذلك عام 1889 .

بعد عودته إلى الولايات المتحدة عمل أستاذا في اللغة الانجليزية ثم استاذا في علم الاجتماع بكلية اوبرلين ،كما دعي للتدريس بجامعة شيكاغو في ذات التخصص عام 1894، توفي توماس في 5 ديسمبر 1947 بالولايات المتحدة.

و من اسهاماته المهمة معالجته لقضايا المجتمع الثقافة، **وصف الأعراق البشرية، تطور شخصية الأفراد الطبيعيين و المجرمين... الخ**، و لكن إسهامه الابرز **جاء حول الهجرة و الثقافة الشخصية،** و اشتهر في هذا المجال باستحداثه **لمفهوم القيم و المواقف** ،**و كذا استخدامه للسيرة الذاتية في العلوم الاجتماعية** و اصدر اكثر من اربعين مطبوعة في مقدمتها دراسة:**" الفلاح البولندي في أوربا و أمريكا."**

2- فلوريان زنانيكى: (florian znaniecki)

هو عالم اجتماع و عالم نفس اجتماعي من أصل بولندي ولد 15 جانفي 1882 بولاية فرجينيا التابعة لبولندا، وواحد من ثلاثة أطفال لمدير ممتلكات عقارية، تلقى تعليمه على يد العديد من المعلمين فأتقن اللاتينية ثم درس الأدب و كتب الشعر و عمره 11 سنة، نشر قصيدته بعنوان" إلى بروميثيوس سنة "1903 في جامعة وارسو بدأ دراسته الجامعية كان زنانيكي ينتمي إلى جماعة سرية متمردة على السلطات الروسية.... نظم الطلاب احتجاجا على الادارة و تم اختياره كممثلا لهم و لظروف كثيرة اتسمت بعدم الاستقرار انتهت بطرده و بفشله في الدراسة، و بعد مرور فترة طويلة جمع فيها زانيكي بين السفر و الدراسة انتقل خلالها إلى سويتز، فرنسا و ايطاليا،

التحق بجامعة جنيف فحصل على درجة الماجستير ثم عاد إلى بولندا فتحصل ايضا على درجة الدكتوراه من جامعة كراكوف عام 1909 . ومن اهم اسهاماته في علم الاجتماع "الفلاح البولندي في أوربا و أمريكا"، و كذلك "قوانين علم النفس الاجتماعي" سنة 1925، "منهج علم الاجتماع" سنة 1934 ،و "الأفعال الاجتماعية" 1936، و" العلوم الثقافية أصلها و تطورها "سنة 1952، و الكتاب الذي نشر بعد وفاته" العلاقات الاجتماعية و الأدوار الاجتماعية سنة 1925 ."

3. إشكالية الدراسة

ماهي التحولات الاجتماعية التي يعيشها المهاجر البولندي بين المجتمع الأصلي و مجتمع المهجر أو الجديد؟ (**بين مناطق الطرد بولندا ومناطق الجذب أمريكا** (شيكاغو)).

ـ اهداف الدراسة ومنطلقاتها الفكرية

- محاولة كل من توماس **وزنانيكي** البحث عن الاسباب الكامنة وراء هجره الفلاح البولندي الى امريكا والتعمق في الاثار الناجمة عنها
- محاوله فهم التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي استطاعت أن تغير التنظيم الاجتماعي البولندي بداية من القيم واتجاهات الفلاح البولندي نتيجة الهجرة الشاملة .

4. مجال الدراسة:

لقد اختار كل من توماس وتزنانيكي التي تعبر عن مناطق الطرد للفلاحين البولنديين وفي تحليلهما ركز على الاسرة أساسية لإعطاء ملامح وطبيعة المجتمع الريفي(التقليدي) انطلاقا من نظام الزواج، بناء الطبقي وكذا التغيرات الاجتماعية الطارئة عليها

في حين تمثلت مناطق الجذب في الولايات المتحدة الامريكية لمعرفه مظاهر التفكك الاجتماعي والانحلال الخلق ضمن العلاقات الزوجية، وتفشي الجريمة وصولا الى فهم القدرة على التكيف مع المجتمع الجديد .

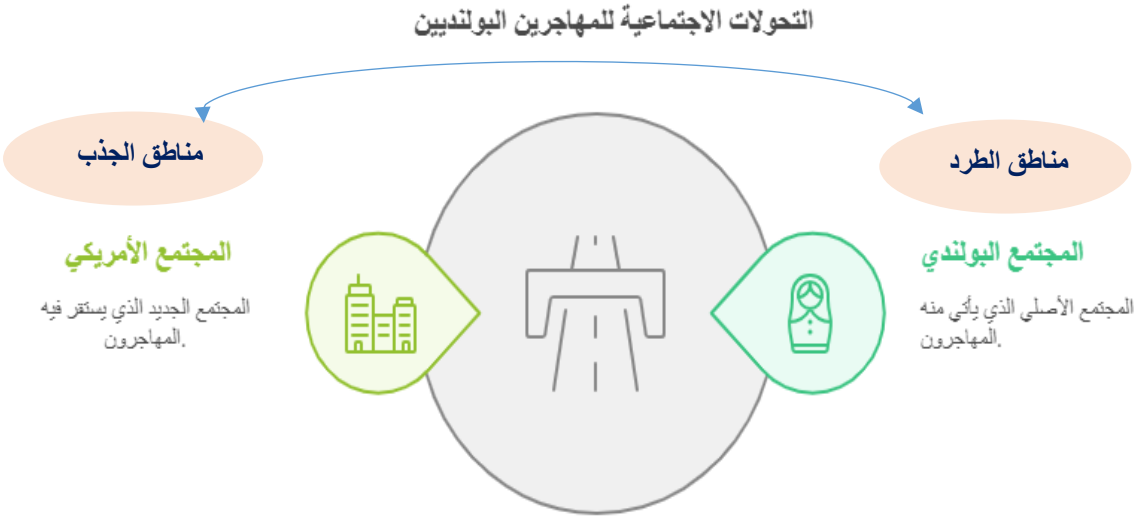

5. مفاهيم ومصطلحات الدراسة

- أفرزت دراسة الفلاح البولندي لدينا عدة مفاهيم مهمة للحقل السوسيولوجي من أبرزها:

الايكولوجيا الحضرية، قصة فلاديك ، البليد، البوهيمي، المبدع، تحديد الوضع، التمثل الاجتماعي، الفرد هو نتاج مصيره وهو منتجه. تاريخ الحياة، الاتجاهات والقيم الاجتماعية، الحياة الشخصية، الرغبات، قيم الأسرية، الاتجاهات الجديد، الفوضى الاجتماعية، المجتمع الجديد.

6. عرض الدراسة

كان **وليام توماس** ضمن أول فوج يسجل في قسم الانتروبولوجيا والسوسيولوجيا بجامعة شيكاغو سنة 1892 وبذلك كان أيضا ضمن أول فرج تخرج من هذا القسم و سيلحقه **ألبيون سمول** مباشرة بعد تخرجه من هيئة التدريس بنفس القسم وستظهر أولى مقالاته في 1907 إلا أن إنجازه العلمي أكبر سيكون الدراسة التي أنجزها بمعية **فلوريان زنانيكي** حول **الفلاح البولوني** في أوربا وأمريكا وهي **الدراسة التي أنجزها ابتداءا من سنة 1908** والتي ستكون أول بحث سوسيولوجي ينجز بفضل منحة مالية هامة **50الف دولار** من **طرف السيدة كليفر** والتي مكنها ما ورثته من أموال عن أبيها في تمويل مشاريع بحثية عديدة واختيار الهجرة البولونية بالتحديد كموضوع جاء نتيجة لكون وليام توماس كان يجد نفسه حائرا أمام السلوكات الغريبة للمهاجرين البولونيين في الولايات المتحدة الأمريكية، ولذلك اعتبر أن هذه السلوكات المتناقضة تجعل من هذه الجماعة مشكلة اجتماعية تستحق أن ينقب عليها الباحثون الاجتماعيون بالبحث والدراسة.

تتطرق هذه الدراسة التي تم نشرها في خمسة **أجزاء برعاية كل من وليام توماس وزنانيكي** ما بين 1918 و1920 لوضعية الفلاحين البولونيين في موطنهم الأصلي ثم وضعيتهم بعد هجرتهم لأمريكا ومحاولة التعرف على نمط عيشهم في بولونيا ثم ما طرأ من تغيرات على نمط العيش هذا بعد هجرتهم إلى أمريكا **يقول توماس وزنانيكي في مقدمة هذه الدراسة** أن هذا الكتاب عبارة **عن مونوغرافيا لفئة اجتماعية فعلية في مرحلة من مراحل تطورها**، وهذا ما يستدعي دراسة هذه الفئة من المهاجرين في مكان انطلاقهم وفي مكان الوصول و محاولة رصد أنماط وأشكال التفاعل والعلاقات التي ينسجونها فما بينهم بعد الهجرة والتي ينسجونها مع المهاجرين المنتمين لمختلف الأعراف والأجناس الأخرى، وهذا ما يستدعي بالضرورة التطرق إلى موضوع **الاندماج أو الانصهار ومسالة القسم و المعايير الاجتماعية ومظهر سوء التنظيم الاجتماعي وإعادة التنظيم** أن التطرق لهذه المواضيع الهامة التي تعتبر في حد ذاتها مواضيع طريقة بالنسبة المعرفة السوسيولوجية سيتم من خلال وثائق خامة ستتم معالجتها اعتمادا على مناهج و تقنيات جديدة ومبتكرة ثم توظيفها لمقاربة الوقائع ودراستها .

والمنهجين الرئيسين الذين تم استعمالهما أكثر هما تقنية دراسة الحالة والمنهج البيوغرافي وتقنية تحليل المضمون والمعطيات المجمعة بهذه الطريقة كانت عبارة عن **وثائق ورسائل شخصية متبادلة بين البولونيين المهاجرين وذويهم في وطن الأم الأصل.**

وضع توماس **إعلانات في الجرائد يطلب فيها من هؤلاء المهاجرين تزويدهم بهذه الوثائق مقابل مكافآت مالية** وقصص وحكايا الحياة والمذكرات الحميمية كما تم الاعتماد على **مقالات الجرائد ولوائح الانتساب لجمعيات المهاجرين ومحاضر اجتماعات الجمعيات** البولونية الأمريكية وتقارير المحاكم والشرطة و مؤسسات المساعدة الاجتماعية هذا بالإضافة **إلى تقنية السيرة الذاتية –البيوغرافيا–** والتي

تمثلت **في السيرة الذاتية الطويلة والمشوقة 300 صفحة**، لمهاجر بولوني من **شاب يدعي فلاديك ويزنياوسكي** ورغم أن عدد الوثائق التي تم الوصول إليها وتجميعها غير معروف ألا أن الفا منها قد استغل **وشكل المثبت منها ثلثي هذا الكتاب الضخم الذي يتكون من 2250 صفحة .**

أنها البداية الفعلية للسوسيولوجيا الأمريكية والبداية الفعلية والتطبيقية للاتجاه الكيفي في البحث السوسيولوجي وليس هذا فحسب أهم ما يمكن أن يذكر به هذا الكتاب وصاحبيه بل هناك أيضا الجانب المفاهيمي النظري الذي كان لهما في دور الريادة أيضا.

- **المواقف الفردية و القيم الاجتماعية:**

استعمل توماس **مفهوم الموقف** منذ مقالاته الأولى في سنة 1907 ولكنه طور ووظف هذا المفهوم بشكل واضح في كتاب **الفلاح البولوني**، كما يرى **وليام توماس** وزميله **زنانيكي** أن التحليل السوسيولوجي ينبغي أن يميز بين **القيم الاجتماعية** التي يعتبرانها هي **العناصر الثقافية الموضوعية للحياة الاجتماعية** وبين **المواقف** التي يعتبران أنها هي الخصائص الذاتية لأفراد جماعة معينة، وأن الموقف هي عبارة عن مجموعة من الأفكار والانفعالات والتي تتحول عبر الزمن إلى استعدادات ثابتة عند الفرد وهي التي تسمح له بإصدار نفس رد الفعل أمام نفس المثيرات وبطريقة متماثلة دوما.

- **تعريف الوضعية:** ان مفهوم تعريف الوضعية سيصبح أكثر من خلال تطبيقه في كتاب الفلاح البولوني حيث سيعمل زنانيكي وتوماس **على توظيفه في دراسة وضعية المهاجرين قبل وبعد الهجرة** والنتيجة مفادها أن الفرد يتصرف انطلاقا من البيئة التي يدركها والتي تحيط به أو يواجهها.
- **سوء التنظيم الاجتماعي وإعادة التنظيم:** تتكون من أربعة أقسام أساسية وهي:

1. تنظيم الجماعة الأولية.
2. سوء التنظيم وإعادة التنظيم في بولونيا.
3. التنظيم وسوء التنظيم في أمريكا.
4. حكاية حياة مهاجر في أمريكا.

إن الغاية من التطرق لبعض أراء وأفكار **وليام توماس وزنانيكي** في **كتابهما الفلاح البولوني** هي الرغبة الشديدة في التأكيد على شيئين أساسين:

- **أولا :** مساهمتهما الواضحة في تأسيس البحث السوسيولوجي الميداني وذلك انطلاقا من وجهة نظر **تفاعلية رمزية** واضحة وتعتبر **سيزي كوت** أن الموقف المنهجي الأكثر خصوبة في فكر وممارسة توماس بالخصوص إلى حرصه الشديد على ضرورة تحليل لأي وضعية اجتماعية من **وجهة نظر فاعل وبذلك ساهم في ترسيخ المقاربة التفاعلية في السوسيولوجيا .**
- **ثانيا:** لأن هذين **العالمين** أسسا من خلال هذا الكتاب لسوسيولوجيا الهجرة والتحضر وأسسا منهجية خاصة بتناوله –**تحليل الوثائق الشخصية والسير الذاتية** وأهم المفاهيم المساعدة على دراستها: المواقف الفردية، القيم الاجتماعية، تعريف الوضعية، التنظيم الاجتماعي، سوء التنظيم الاجتماعي، سيرورة الإدماج و الانصهار.

إن مفهوم النمط الاجتماعي قريب من مفهوم أسلوب الحياة أو مما درسه علماء الاجتماع الألمان من خلال الصور "النمطية المثالية "للبرجوازي فيرنر سومبارت أو لماكس فيبر.

بالنسبة **لتوماس وزنانيكي** يعرفان النمط الاجتماعي بدءا من مواقف وقيم توجه تنظيم حياته وهكذا يستخلص الباحثان ثلاثة أنماط اجتماعية مهيمنة لشخصية الفلاحين وهي : **ضيق الذهن البليد ، و البوهيمي، و المبدع.**

1 **البليد :** محافظ وسلوك راسخ في التقاليد والضوابط المتبعة؛ سواء كان برجوازيا أو فلاحا فإن موقفه تجاه الحياة موسوم بالامتثال للعرف والتقاليد.

2 **البوهيمي:** متفتح على التغيير لكن التغيرات لا تأتي منه وهو لا يفعل سوى أن يتأقلم مع محيطه تاركا نفسه تحت تأثير الآخرين.

3 **المبدع:** يعرف في هذا القاموس كمجدد فهو يتمكن من حياته لأنه يمتلك قيمه ومشاريعه الخاصة بالاعتماد على نفسه.

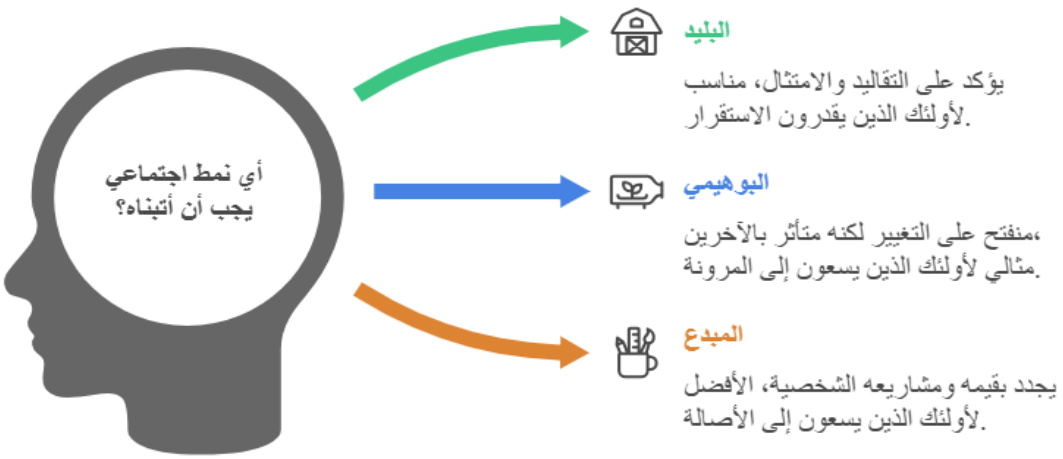

ويؤكد **توماس وتزانييكي** على التفاعل المتواصل للعوامل بين الفرد ومحيطه، ولا يمكن القول أن الفرد نتاج بيئته ولا أنه يقوم بإنتاج بيئته، بالأحرى: يمكن أن نقول الأمرين معا الفرد هو نتاج مصيره وهو منتجه هنا يقدم توماس فكرة أثيرت لديه؛ أن الأفراد الموجودين في الوضع نفسه سيرتكسون بشكل متباين تبعا لتمثلاتهم لهذا الوضع و هذا ما يسميه توماس تحديد الوضع و سيصوغه **روبرت ميرتون** فيما بعد تحت شكل نظرية توماس أن التمثل الذي يكونه المرء عن وضعه يساهم في تشييد هذا الوضع.

7- نتائج الدراسة:

- تغير النظام الطبقي في المجتمع- بروز الطبقة العاملة- مع صعوبة الظروف المعيشية للمهاجرين البولنديين.
- تفكك التضامن الأسري بفعل التغيرات الاقتصادية وتكوين اتجاهات جديدة تتعارض مع القيم الاسرية الأصلية(مجتمع الطرد).
- ظهور النزعة الفردية بسبب التفكير في تحقيق الرفاه الاقتصادي وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة الجماعية.
- الجمع بين البعد الذاتي والموضوعي للهجرة على اعتبار أن الهجرة ظاهرة اجتماعية لا تكتسب معناها إلا من خلال السلوك الاجتماعي للأفراد.
- قيام العلاقة بين البناء الاجتماعي والشخصية.

ملحوظة :

تعد الاتجاهات والقيم بمثابة المصطلحات الاساسية في هذه الدراسة، والقيم الاجتماعية عند توماس و زنانيكي عبارة عن شيء يشبه الظواهر الاجتماعية عند إميل دوركايم، فالقيمة الاجتماعية هي أي شيء مادي او غير مادي يعد مفيدا لأعضاء الجماعية الاجتماعية وله معنى بالنسبة لهم ينفعون عليه دون تفكير.

ويرى توماس أن الافعال الاجتماعية ثنائية بطبيعتها بمعنى أنها ناجمة عن القوى الاجتماعية خارج الفرد الفاعل وعن الدوافع الخاصة داخله ولا يعترف توماس بأي تفسير في علم الاجتماع يتجاهل الظواهر الاجتماعية أو الدوافع الفردية. إنما يتحقق المزج بين الاتجاهات الفردية والقيم الاجتماعية لدى كل فرد بواسطة عدد ضخم من الرغبات التي يمكن اشباعها في المحيط الاجتماعي فقط، ويمكن حصر الأنماط العامة **للرغبات في أربعة:**

1-الرغبة في اكتساب خبرات جديدة.

2-الرغبة في كسب الاعتراف وهذه تشمل الاستجابة الجنسية والتقدير الاجتماعي العام.

3-الرغبة في السيطرة وهذه تشمل الملكية والقوة السياسية.

4-الرغبة في الحماية وهذه تشمل تدعيم الزملاء وصحبتهم.

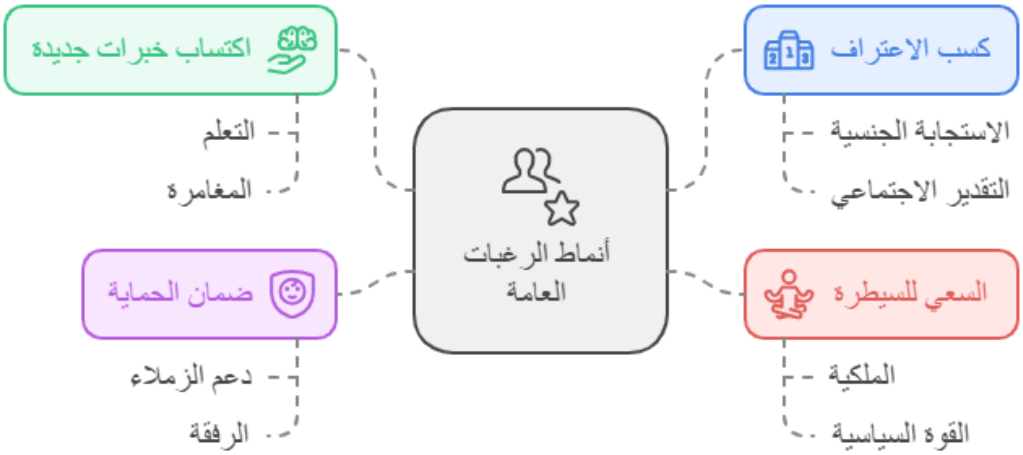

ومن خلال الشكل أعلاه نجد أن الرغبات الأساسية هي: اكتساب خبرات جديدة وكسب الاعتراف والاستجابة والحماية.

وكتاب **الفلاح البولندي في أوروبا و أمريكا** يحلل وضع الفلاحين البولنديين في هاتين القارتين وتعد الجماعة الاسرية في القرية البولندية التقليدية هي الفاعل الاجتماعي الاساسي ويخضع الافراد لها إلى أبعد حد ممكن وقد أوضح **توماس وزنانييكي** كيفية تحطيم هذا النمط –**النمط الأسري**– بفعل التغيرات الاقتصادية والمؤثرات الأخرى الخارجية التي اضعفت تضامن الاسرة والقرية مما ساعد الافراد على تكوين الاتجاهات جديدة تتعارض مع القيم الاسرية كما ادى الى ظهور تباين في الآراء والمعتقدات والتوجهات الاقتصادية في القرية ويعرفان التفكك الاجتماعي بأنه تقلص تأثير المعايير الجماعية على اعضاء الجماعة ويوضحان ان هذا التفكك اصبح يميز كل جانب من جوانب المجتمع القروي في بولندا بعد عام 1900 .مما ادى الى عملية اعادة التنظيم.

وقد ظهرت صور اكثر تطرفا للتفكك عندما هاجر الفلاحون البولنديين الى الولايات المتحدة تاركين ورائهم قراهم البولندية ويرى **توماس** أن التفكك تبعه إعادة تنظيم وظهور اتجاهات وقيم جديدة، فقد ظهرت جمعيات المهاجرين والجمعيات الخيرية والنظام التعليمي التابع للكنيسة والروابط البولندية الأمريكية لتحل جزئيا محل الدعائم الجماعية.

وتتمثل الصور المميزة للتفكك الفردي بين الفلاحين البولنديين في الولايات المتحدة في العالة الاقتصادية والقتل وإنحراف الاحداث(الأطفال)، ويمكن الاستشهاد على الطريقة التي فسر بها **توماس و زنانيكي** المشكلات السلوكية بالكشف عن الاتجاهات والقيم الكامنة ورائها. من خلال الاقتباس الذي يناقشان فيه نتائج الجهود التي تقوم بها المحاكم والمؤسسات الاجتماعية دون انهيار اسر المهاجرين.

8- الانتقادات

كباقي الدراسات ، لا تخلو دراسة "الفلاح البولندي: للعالمين الاجتماعين فلوريان زنانييكي ووليام توماس، التي نُشرت لأول مرة في عام 1918. من الانتقادات عبر السنين. حيث نسرد بعض أهم الانتقادات الموجهة لهذه الدراسة والمتمثلة في:

- **عينة الدراسة غير ممثلة.** كونها ركزت الدراسة على المهاجرين البولنديين في شيكاغو، مما قد يؤدي إلى تعميمات غير دقيقة عن المجتمع البولندي ككل.
- اتهم النقاد الباحثين بتحملهم تحيزات ثقافية تجاه المهاجرين البولنديين، مما قد يكون له تأثير على تفسير البيانات والنتائج
- اعتماد الدراسة بشكل كبير على المقابلات والرسائل الشخصية، مما قد يؤدي إلى تحيز في البيانات المجموعة.
- هناك انتقادات تتعلق بمدى قدرة الدراسة على تعميم نتائجها على مجتمعات أخرى أو حتى على المجتمع البولندي بأكمله. العينة المحدودة والسياق المحدد قد يجعل من الصعب تطبيق النتائج على نطاق أوسع.
- تم انتقاد الدراسة لتأثيرها المحتمل على المواقف الاجتماعية والسياسية تجاه المهاجرين البولنديين. قد تكون الدراسة قد ساهمت في تعزيز الصور النمطية السلبية والتمييز ضد هذه المجموعة
- استخدم الباحثون تحليلاً نفسياً لفهم سلوك المهاجرين، مما أثار جدلاً حول مدى ملاءمة هذا النهج في دراسة الظواهر الاجتماعية
- بعض النقاد يشيرون إلى أن الدراسة قد تكون قديمة الآن، حيث تغيرت الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بشكل كبير منذ نشرها. قد لا تعكس الدراسة بدقة الواقع الحالي للمهاجرين البولنديين أو مجتمعات المهاجرين بشكل عام.

اختبر معلوماتك

بالاجابة على النشاط الموضعي والاجمالي

كل التوفيق والسداد